أسبوعيات نائب ٣١ / ٣ / ٢٠٠٣

رئيس الوزراء ومعضلات السكون والحركة والمطلوب والمحظور عند المرحلة الراهنة

ناهض منير الريس

النائب عن مدينة غزة

في لقائه التشاوري بالنواب في المجلس التشريعي يوم السبت الماضي استمع رئيس الوزراء المكلف السيد محمود عباس طويلا إلى كلمات النواب . وقد تناولت العديد من الهموم والمقترحات والملاحظات . وترددت أثناءها مرات عديدة الأمنية بأن يأتي التشكيل الوزاري الجديد من خارج المجلس قدر الإمكان ويضم أصحاب التخصصات دون النظر إلى أية اعتبارات أخرى . ولم يغفل أحد المطالبة بالإصلاح الإداري ، بل ذهب البعض إلى تسميته (التغيير) .

أما رئيس الوزراء فاكتفى بكلمة قصيرة بعد كلمات جميع النواب تقريبا ، حرص فيها على القول إن قرار الحرب والسلم ينبغي أن يصدر عن المرجعية الشرعية الديمقراطية وأنه حين يصدر مزودا بالشرعية اللازمة فيجب أن يكون ملزما للجميع .وهي وجهة نظر مشهورة ومعروفة عن أبومازن . وبغض النظر عن الوجهات السياسية والاختلافات حولها فإن ضرورة البدء بإصلاح حال السلطة الفلسطينية أمر يلقى اتفاق الغالبية العظمى .

وعمليا ربما يؤجل رئيس الوزراء تقديم أسماء وزرائه إلى ما بعد اتضاح الصورة بالنسبة لنهاية الحرب في العراق .

وموضوعيا هناك تعارضات كثيرة قائمة بين المطالب وبين الآليات الممكنة لتنفيذها ، وهناك صعوبات تعترضها من كل جانب . فالإصلاح أو التغيير الذي يحظى بالإجماع والذي ينشد إعادة التنظيم وتحسين الأداء الإداري يواجه مشكلة الاكتظاظ ومشكلة الكوادر التي حصلت على مراتب عليا لا يسعها الهيكل الإداري في صورته الأصولية ، وبالتالي صعوبة

الاستغناء عن أعداد كبيرة من العمالة الزائدة وصعوبة خلع ملوك الساعة في الوزارات والإدارات والأجهزة عن عروشهم المدعومة من قبل الذين نصبوهم ليكونوا عونا وسندا لهم حين تحين ساعة القفز على الكرسي الكبير . والإصلاح الذي ينشد إقرار الأمن يصطدم بتعدد أجهزة هي السبب الأول في التجاوزات وسعار الكسب السريع وإشاعة سلوك العصابات ، ولكن هذه الأجهزة وعصاباتها يبدو أنها مطلوبة للقيام بأدوار معينة ضد خصوم موضوعين في الحسبان . ومن هذه التعارضات أيضا التعارض بين الإصلاح وبين عدم إقرار مبدأ المحاسبة واسترداد الأموال التي نهبت دون وجه حق ، لا سيما أن مثل هذا المبدأ إذا أقر فيجب أن يبدأه الرجل المسؤول بنفسه وبخاصته قبل أن يوجهه إلى الغير أو يسلطه على الضعفاء أو صغار اللصوص .

فالإصلاح والتقويم لا يجوز أن يكونا في خدمة سياسات أخرى أو معارك مع خصوم أيا كانوا ، وإنما الإصلاح قضية مبدأ ، وشرط حيوي لتسيير مصالح الناس دافعي الضرائب والمستفيدين من وجود الحكومة . وهو شرط أيضا للرقي بالمجتمع في نواحيه كافة .

أما قضية الحرب والسلم فإن مبدأ وحدانية السلطة والقرار بالنسبة إليهما ، ووجوب التزام الجميع بهذه الأصول وعدم الخروج عليها ، أمر لا يجادل فيه أحد . ولكن الوضع الذي فرض نفسه علينا هو انفراد اليمين الإسرائيلي الحاكم بإعلان الحرب علينا دون نقض ولا إبرام . والخشية من أن يكون ذلك جزءا من سياسة ومرحلة من مراحل خطة متفق عليها بين شارون وبوش . وإلا ، إذا لم يكن الأمر كذلك ، فما الذي يمنع الإسرائيليين من رفع طوق التجويع ومصادرة الحرية والتنقل ومن الاستجابة لوقف إطلاق النار الذي نفذه الفلسطينيون فعلا ، ثم (وخزه) الإسرائيليون وخزا لكي يستدرجوا الرد ويقضوا على كل فرصة للسلام .

والمرء يكره التكلم بما يتجاوز قدرته وإمكانياته . ولكن من الصعب على الإنسان أن يكبح جماح متكلم متطرف في القول إذا كان مجروحا وموجوعا . ومن الصعب على الإنسان أن يتحامل على من تمتد ذراعه نحو خصمه بحركة معاكسة للصفع واللكم . وقلما أمكن التقيد بالمبدأ الذي أتت به شرعة

السيد المسيح " من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ". والقرآن الكريم يقول : " لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم " . وعمر بن الخطاب يقول : " عجبت لرجل يبيت على الطوى كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه " !!

والكثيرون بالإضافة إلى ذلك يعتقدون أن شارون ليس بحاجة إلى ذرائع للبطش والعدوان ، وفي جميع الأحوال إن الشرط الجوهري للوصول إلى القرار الذي بوسعه حشد الأغلبية الشعبية ـ وليس التشريعية وحسب ـ لوضع القوى المسلحة جديا أمام التزام التقيد بالقرارات والعزوف الرضائي عن حمل السلاح ، وللنجاح في ضبط الساحة الداخلية ضمن مبدأ الوحدة الوطنية الجوهري والأساسي ، هو الحصول على ضمان أمريكي مكتوب بوقف العمليات الحربية من جانب الإسرائيليين . وهذا بدوره أمر صعب ومتعارض مع المعطيات القائمة .

ليس بوسعنا أن نكون محايدين بالنسبة لقضية النجاح والفشل التي سيتكلل بإحداها جهد رئيس الوزراء المكلف . فالوقت حرج للغاية . والشيء الذي نواجهه ليس إلا مسألة حياتنا أو موتنا . وأعود لأقول إن الكثير يتوقف على نتيجة الحرب في العراق !

امتياز خاص بأمريكا

ما الفرق بين فظاعات قطاع الطرق في الزمن الغابر ، وبين ما يفعله الأمريكيون والبريطانيون في العراق اليوم ؟

لا فرق على الإطلاق من حيث المبدأ ، ولكن هناك فروقا عديدة في التفاصيل .. وهي فروق تجعل أفعال الأمريكيين والبريطانيين أثقل كثيرا في ميزان الإجرام بحق الإنسانية

والتطابق تام بين هاتين الفعاليتين الإجراميتين في الهدف والوسيلة . ولكنهما تختلفان في الأدوات المستخدمة وفي اصطناع الذرائع . فالهدف من جرائم قطاع الطرق كما هو الهدف من العدوان الأمريكي ـ البريطاني هو (

التقشيط) أي السلب والنهب . والوسيلة في الحالين هي استخدام القوة والسلاح بلا رحمة .

أما التفاصيل التي يقع الاختلاف فيها فبعضها ظاهر صارخ وبعضها خفي مكتوم. ومن أمثلة الظاهر الصارخ نوع السلاح ومستواه . لأن قطاع الطرق لم يتمكنوا يوما من اقتناء طائرات الشبح وقاذفات ب ٥٢ وصواريخ كروز . وربما ملك بعض قطاع الطرق سيارات سريعة ومصفحة ، ولكن من أين لهم أن يملكوا الدبابات الثقيلة ومروحيات الأباتشي ؟ إن ذلك امتياز خاص بالولايات المتحدة التي سخرت العلم والعلماء لاستغلال النظريات العلمية في اختراع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من الأسلحة والمعدات الفتاكة . ومع أن بعض الناس يحكي عن وجود عصابات معارضة مدججة بأسلحة ثقيلة في الولايات المتحدة نفسها ، سبق لبعض أفرادها أن نسفوا بنايات شاهقة ، فإن حيازة أسلحة الدمار الشامل حكر على الدولة الأمريكية وإن استخدامها هو امتياز خاص برئيس الولايات المتحدة .

ولعل من الفروق الأخرى الظاهرة البارزة بين هذين الفريقين من المجرمين ، أن قطاع الطرق قد لا يقتلون ضحاياهم أثناء عملية (التقشيط) ، بينما الحملة الأنجلو سكسونية تقتل ـ عامدة متعمدة ـ مئات العراقيين . وهي ماضية في تلك الجريمة ، ومرادها منها بث الرعب وإرباك الحكومة العراقية .

ومن الفروق المهمة الأخرى أن جنايات قطاع الطرق تحدث في أماكن خلوية ، فلا يعاين وقائعها الناس في الأماكن الأخرى ، بينما جناية الدولة العظمى وذنبها النجس مصورة بكاميرات الصحافة المرئية ، يراها الجميع ، ويكابد وحشيتها وفظاعتها كل من وقعت عينه على مشاهد الدم المراق والأطراف المقطوعة والأمعاء المندلقة والعيون المقتلعة والأشلاء الممزقة بفعل ملوك الإجرام المتوجين .

أما الفروق الخفية بين جريمة هاتين الدولتين الأنجلوسكسونيتين وبين عمل قطاع الطرق فأهمها دون شك هي الثروة التي يحاول المعتدون أن يسلبوها . ولم يصدق أحد في العالم طبعا ادعاء الناطقين الأمريكيين أنهم يرتكبون هذه الجريمة بل سلسلة الجرائم الهائلة والفاحشة في العراق حسبة

لله تعالى ، أو لوجه الديمقراطية وحقوق الإنسان ! إنهم يريدون ثروة العراق الوطنية بأكملها . ويا لها من ثروة لا يمكن تقدير قيمتها ، لأنها - ببساطة - ثاني أكبر مخزون نفطي في العالم كله !! مع العلم أن خامة نفط العراق من أنقى خامات النفط قياسا إلى غيرها . ومن هنا رصد المعتدون المجرمون لحملتهم موازنات بالمليارات ، وعادوا فطلبوا اعتماد مئات المليارات الجديدة ، وطرحوا للمقاولات بأمريكا ما دعوه مشاريع إعادة إعمار العراق (الذي يقومون بتهديمه على قدم وساق ويمعنون بذلك لكي تكثر المشاريع التي يستولون على نفط العراق باسمها وبذريعتها) ، لأنهم لا ينفقون من جيوبهم ، وإنما يغترفون من الثروة العراقية التي يقفون فوقها الآن وما زالت دفينة في باطن الأرض . وقد أعلن الناطق العسكري الأمريكي أن قواته سيطرت على ستمائة بئر نفط عراقي في المناطق المحتلة بجنوب العراق . وهكذا لم تتأخر عملية استخدام دهن العراق لتسمين أعداء العراق . ولا ريب أن ذلك الإعلان سيكون بمثابة استدرار للعاب بعض الدول الصناعية التي لم تؤيد العدوان بعد . ولا ندري هل لهذا الأمر علاقة بتصريح وزير خارجية فرنسا القائل مؤخرا إن العلاقات ستعود إلى طبيعتها الحميمة بين أمريكا وفرنسا بعد انتهاء الحرب .

أمير الشعراء شوقي

مهما يكن الأمر ، فإننا نعيش العصر الأشد ظلما وظلاما في تاريخ البشرية . وهو العصر الذي تقف فيه سحلية كبيرة تدعى دونالد رامسفيلد لتفضي بكلام ليس له إلا معنى واحد : وهو أن القوة الغاشمة لا تحتاج بتاتا إلى أي سند أخلاقي ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية التي بنت أساسها فوق بحر من دماء الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين تريد أن تعمم هذه (التجربة) لتبني لنفسها امبراطوريات اقتصادية جديدة فوق بحر من دماء العرب والمسلمين ، غير عابئة بالمسافات واختلاف القارات وحياة الناس وأمنهم في أوطانهم . ومن أشد مظاهر الظلم والظلام أن يستخدم المعتدون الأمريكيون والبريطانيون أجساد العرب وأوطانهم ميدانا لتجربة آخر أجيال السلاح الذي لم يجربوه ميدانيا من قبل . ويسهل عليهم أن يعدوا العرب

والمسلمين دريئة يتدربون على إصابتها ، ويسهل عليهم أن يبثوا الرعب في نفوس الأمم الأخرى بعرض مفعول أسلحتهم في بلاد العرب والمسلمين

وما تقترفه الولايات المتحدة من جناية فاحشة في العراق يسمم في وقت واحد جو الهواء وجو الأخلاق والقيم في نفوس الأمم والشعوب . فإذا كانت الحرائق المشتعلة جراء قصف بغداد تمزج بالهواء الذي يستنشقه الناس سموم الكحل والبارود والغازات والعناصر التي ليس من السهل التنبؤ بها الآن ، فإن هذه المشاهد التي تطالعنا صباح مساء تسمم أرواح العرب والمسلمين بكراهية وبغضاء وأحقاد تتفاعل طويلا في النفوس والقلوب والعقول جيلا بعد جيل . وهي تغري الأجانب الفاسدين على النمط الأمريكي أن يطلقوا الوحشية والجبروت من عقالها وأن ينطلق كل منهم ليعض الأمم والشعوب . ورحم الله شوقي ، وهو لم يشهد ما شهدناه ولم يعرف ما عرفناه ، ولكنه قال مع ذلك إثر قيام الإيطاليين بإعدام زعيم ليبيا الحق عمر المختار :

نصبوا رفاتك في الرمال لواء - يستصرخ الوادي صباح مساء

يا ويحهم نصبوا منارا من دم - يوحي إلى جيل الغد البغضاء

ما ضر لو جعلوا العلاقة في غد - بين الشعوب مودة وإخاء

لكن العالم في العصر الأمريكي لا يحمل أي أمل في أن تقوم العلاقة بين الشعوب على المودة والإخاء . بل على العكس : يكرس الأمريكيون قسمة الناس إلى صيادين وفرائس ، ويريدون أن يكون لقبهم (الصياد الأعظم) وأن يكون لقب العرب والمسلمين بدءا بالعراق : (الفريسة الكبرى) .

أما بالنسبة لنا نحن العرب ، فالأمريكيون يعرفون أننا نعرف أن دعاواهم كذب مفضوح ووجههم بشع ملعون ، ولكنهم لا يبالون بنا ولا بشعورنا ولا بإراداتنا . حتى إن الذرائع التي يقدمها الأمريكيون بين يدي عدوانهم ليست موجهة لنا أو لإقناعنا أو لمراعاة موقفنا ، بل موجهة لشعبهم في الولايات المتحدة الأمريكية ، وإلى حد أقل للشعوب الأوروبية . وقد زرع الإسرائيليون في أوساط النخب السياسية الأمريكية دعاوى صارت مع شدة الإلحاح والتكرار في مرتبة العقائد . ومنها أن العرب لا كرامة لهم

فهم مجموعة من الارتزاقيين الذين يساسون بالكرباج ويسهل شراء كبرائهم بأرخص الأثمان (والحقيقة أن المشكلة في هؤلاء الكبراء ، لا في الشعب) . ولا شك أن الورطة التي اندفع الأمريكيون إليها بحسبانهم أن العراقيين لن يحاربوا وأنهم سرعان ما سيأتون إلى الوليمة الأمريكية وقد تدلت ألسنتهم شهوة ، هي ورطة من صنع الوسوسة الصهيونية المثابرة على حشو الآذان الأمريكية بكل ضلال من شأنه تسخير القوة الأمريكية العظمى لصالح الأهداف الإسرائيلية البعيدة .